القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

يوسف الصديق

٨

عبد الحميد جودة السحار

١

كان ليعقوبَ من البنينَ اثنا عشرَ ولَدًا ذَكَرا ، وكان يوسُفُ وأخوه بنْيامِينُ أصغرَهم ، وكان يعقوب يُحبُّ يوسُفَ أكثرَ من إخوتِه ، ويُظهِرُ هذا الحبَّ ، فَيغارُ إخوتُهُ منه . وفى ذاتِ ليلة ، دخل يوسُف فى فراشِه ونام ، فرأى حُلْمًا عجيبا ، فلمَّا قام من نومِه ذهَب إلى أبيه وقال له :

﴿ يا أبَتِ إنى رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشمسَ والقمَرَ ؛ رأيتُهم لى ساجدين ﴾ .

ففكَّر يعقوبُ فى حُلمِ يوسُف ، فَعَرَف أنَّ اللَّه سيجعلُه عظيما فى الدنيا والآخرة ، ولمَّا كان يعقوبُ

يعرف أنَّ إخوة يوسُفَ يغارونَ منه ، خافَ أن تَدفَعَهم الغَيرةُ ويحرضهم الشيطان فيُؤذوه ، فقال له :

﴿ يا بُنيَّ لا تَقْصُص رؤياكَ على إخْوَتِك ، فيكيدوا لك كيْدا ، إنَّ الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مُبين ﴾ .

وسكت يعقوب قليلا ، ثم قال ليوسف :

- لقد أراك الله هذه الرؤيا العظيمة ، فإذا كتمتها يخصُّك ربُّكَ برحمَته ، ويُعلِّمُكَ تفسيرَ الأحلام ، ويُتِمُّ نعمَته عليك ، وينالُ آلَ يعقوبَ بسببِك الخيرُ الكثير .

سيجعلك الله عظيما ، ويُعطِيكَ النُّبُوَّة كما أعطاها لأبَوَيكَ من قبلُ إبراهيم وإسحاق .

واستمرَّ يعقوب يكلم يوسف ، ويوسُف يسمعُ منه ، ويُفكِّر فى هذا الحلمِ العجيب .

٢

كان يعقوبُ يحتضنُ يوسُفَ وأخاهُ بنيامينَ ويُلاعِبُهُما ، وكان أولادُه ينظرونَ إليه وهو مشغولٌ عنهم بهما ، فيُحِسُّون غيظا ، لأنَّ يوسُفَ وبنيامين انفردا بحبِّه ؛ وترك الأولادُ المكان ، وخرَجوا يتحدَّثون ؛ فقال أحدهم وهو غضبان :

ـ إنَّ أبانا يُحبُّ يوسُفَ وأخاهُ أكثرَ منا .

وقال آخرُ فى غيظ :

ـ إننا جماعة ، وإننا أحقُّ بالمحبَّةِ من يوسُفَ وأخيه .

وقال ثالث :

ـ إنَّ أبانا لَفِى ضَلالٍ مُبين .

وقال رابع :

ـ اقتلوا يوسُفَ ، أو أبْعِدُوهُ إلى أرضٍ لا يرجِعُ

منها ، فيبْقَى لنا حبُّ أبينا ، ثم نتوبُ بعدَ ذلك من هذه الفِعْلَة ، ونُصبِحُ ناسًا صالِحين .

وارتَفع صوتٌ يوافق على هذا الرأى :

ـ فَلْنَقْتُلْهُ لِنستَريحَ منه .

وكادوا يُوافِقون على قتلِه ، ولكنَّ واحدًا منهم قال :

﴿ لا تقتلوا يوسُف ، وأَلْقُوهُ فى غَيابَةِ الجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بعضُ السَّيَّارَةِ إن كنتم فاعِلين ﴾ .

فصاح أحدهم :

ـ هذا هو الرأى .

واتَّفَقُوا على أنْ يُلقُوا يوسف فى الجُبِّ لِيَتخلَّصُوا منه ، ويَخْلُوَ لهم وجهُ أبيهم .

٣

ذهَبَ الأولادُ إلى أبيهم ، فَوَجَدوهُ يَحتَضِنْ يوسُفَ ويُلاعِبه ، فقال له أحدهم :

ـ يا أبانا ما لَك لا تَدَعُ يوسُفَ يذهب معنا ليلعب ؟

فقال يعقوب :

ـ لا أطيقُ أن أفارِقَه ساعة .

فقال آخر :

ـ أَرْسِلْهُ معنا غدًا يلعبْ ويتمتّع .

فقال لهم أبوهم :

ـ إنى لَيحْزُنُنِى أن تذهبوا به .

ـ اتركه يلعبْ ويفرح ، فإنه محبوسٌ هنا دائما .

ـ أخاف أن تَشْتَغِلوا فى لَعِبكُم وتتركوه ، فيأتى

الذئب فيأكلَه .

فقال قائل منهم :

- كيف يأكله الذئبُ ونحن كثيرون ؟!

والتفوا بأبيهم يقولون :

- لا تخشَ عليه شيئا ، دعْ يوسُفَ يخرج معنا يفرحْ ويلعَب ، لماذا لا تأمَنُنا على يوسُفَ ونحنُ نُحِبُّه ، ونحبُّ أن يذهَبَ معنا .

واستمروا يرجون أباهم حتى قبِلَ رجاءهم ، وأرسَلَ يوسُفَ معهم ، فخرجوا من عنده مسرورين .

٤

خرج الأولاد ، وخرج يوسُفُ معهم ، وما غابوا عن عينىْ أبيهم حتى أخذُوا يشتِمونَ يوسُفَ ويُهينونَه، وساروا حتى إذا وصلُوا إلى البِئر ، أخذوا

من يوسُفَ قميصه الـذى على جســمه ، ودَلّوه فى البئر وذهبوا .

وجَدَ يوسُفُ نفسه فى الجُبِّ فشعرَ بخوف ، ولكـن لم يستمِرَّ هذا الخوف طويـلا ، لأنَّ الله أذهَـبَ عنـه الخوف ، وأخبَرَهُ أنه لا بدَّ لـه مـن مَخْـرَجٍ مـن هـذه الشِّدَّة ، وأنّهُ سينْجُو ويعيشُ مُكرَّما .

ووقـف الأولادُ يفكّـرونَ فيمـا يقولونَـه لأبيهـم ، فرأوْا أن يقولوا إنَّ الذِّئبَ أكلَه ، وأرادوا أن يُبَرْهِنوا له على صِدْقِهم ، فـأخذُوا قميـصَ يوسُـف ولَطَّخُـوه بدمِ مِعْزَى ذبحوها .

انتظرَ الأولادُ حتى غابَتِ الشمسُ وجاءَ الليل ؛ ثم دَخلُوا على أبيهم وهم يَبْكُون . فلمَّـا رآهـم يعقـوب ولم يَرَ يوسُفَ معهـم شـعر بانقبـاض ، وقـال لهـم فـى لهفة :

- أينَ يوسُف ؟

﴿ قالوا : يا أبانا إنّا ذهَبْنا نَسْتَبِقُ وتَرَكْنا يوسفَ عِنْدَ متاعِنا (أى أشيائنا) فأكلَهُ الذِّئب ﴾ .

فقال يعقوب فى غضب :

- تكذِبُون .

- إنّنا نعلمُ أنّك لنْ تُصَدِّقَنا ، ولكن هذا قميصُه .

وقدَّمُوا له قميصَه ، فَوَجَدَ به آثارَ دم ، ولكنْ لم يجد به أثر أسنان ، فقد نسوا أن يخرِقوه ، فعلم أنهم فعلوا بأخيهم شيئا ، وأن الذئبَ لم يأكلْه .

وحزِنَ يعقوبُ على يوسُف ، ولكنه صبَرَ على حُزْنِه ، وقال لأولادِه :

- بل فعلْتم بأخِيكم أمرا ، فصبرٌ جميل .

٥

كانت قافلةٌ قادمةً من الشامِ ذاهبةً إلى مصر ، ومرَّت القافلةُ بالبئرِ التى أُلقِيَ فيها يوسُف ، وذهبَ رجُلٌ يحضِرُ ماء ، فلمَّا أدلَى دلْوَهُ تَعَلَّقَ فيها يوسُف ، فلمَّا رآهُ ذلك الرَّجل فَرِحَ وقال : بُشْرَى ! هذا غُلام . وأخَذَهُ وعادَ إلى القافلة .

وسافرَ التجارُ حتى وصلوا إلى مصر ، فذهبَ الرجل بيُوسُفَ إلى سوق الرَّقيقِ ليبيعَه ويقبضَ ثَمنه وذهبَ وزيرُ مصرَ إلى السُّوق ، فلمَّا رأى يوسُف أُعجِبَ به ، فتقدَّمَ واشتراه بدراهِمَ قليلة .

وعادَ الوزيرُ إلى بيته ومعه يوسُف ، فلما دخل على زوجه فَرِحتْ بالغُلام ، لأنها لم يكن لها أولا وقالَ لها الوزير :

ـ أحْسِنِى إليهِ فقدْ ينفعُنا إذا كبِر ، وقد نجِدُهُ غُلامًا طيِّبًا ذكيًّا ، فَنَجْعَلُه ابننا .

وبَقِىَ يوسُفُ فى بيتِ الوزير ، يحوطُه بعَطْفِه وعنايته .

ومرَّت السِّنون ، وكبرَ يوسُف ، حتى شَبَّ فكان رائعَ الحُسْن ، جميلَ الصُّورة .

٦

رأتْ امرأةُ الوزيرِ جمالَ يوسُفَ وقُوَّتَه ، فأحبَّته .

وفى ذاتِ يوم ، لَبِسَتْ أحسَنَ ثيابِها ، وتزيَّنت ودخلتْ على يوسُف ، وأغْلَقَتِ البابَ خلفها ، واقتربتْ منه وأرادت أن تُظهِرَ له حُبَّها ، فقالت له :

ـ أنا لك ، ومِلْكُ يَدِك .

ونَظَرَ يوسُفُ إلى جمالِها ؛ ولكنّه تذكَّرَ ربَّه الذى

خَلَّصَهُ من الجُبِّ ، فدارَى وجهَهُ وقال :

- مَعاذَ الله ، زوجُك هو سيِّدى ، وقد أكرَمَنى وأحْسَنَ إلىَّ ؛ فلا أُسىءُ إليه ، ولا أَعْصِى ربِّى الذى أنقَذَنى .

وذَهَبَ إلى البابِ ليفتحَه ويخرج ، فأسْرَعَتْ إليه تشُدُّه ، فأمسكَت بقميصِه فانشقَّ من الخلف ، وفتحَ يوسُفُ البابَ فرأى الوزيرَ أمامَه ، فلمَّا رأت زوجةُ الوزيرِ زوجَها واقفا ، أرادت أن تتَّهِم يوسُفَ بأنه حاوَل أن يَعتدِىَ عليها ، فقالت لزوجِها :

- لقدْ أرادَ يوسُفُ بامرأتِكَ سوءا ، وإنَّ جزاءَهُ السِّجنُ أو العذابُ الأليم .

فقال يوسُفُ يدافعُ عن نفسِه :

- إنها هى التى عَرَضت نفسها علىَّ .

وغَضِبَ الوزير ، وجاءَ رجلٌ كان قريبَ زوجَتِه ، فلما سمع القصة من الوزير قال له :

- إذا كان قميصُه قد شُقَّ من أمام ، فهِيَ صادِقةٌ وهو كاذب ، وإذا كان قميصُه شُقَّ من خلْف ، فهو صادق وهي كاذبة .

ووُجِدَ قميصُه شُقَّ مِن خلف ، فنظَر الوزير إلى زوجِه في غضب ، وقال لها :

- إنَّ هذا كلَّه من مكرِكِ ، والنِّساءُ مكرُهُنَّ عظيم .

ونظر إلى يوسُف وقال له :

- لا تذكر ما حصَلَ لأحد .

وطَلب من زوجتِه أن تستَغفِرَ من ذنبِها وأن تتوب .

٨

اجتَمعَ نساءُ الأمَراء وبناتُ الكُبَراء ، وتحدَّثْنَ عن امرأةِ الوزير ، وكُنَّ يَلُمْنَها على حُبِّها ليوسُف ، قلن :

ـ امرأةُ العزيزِ تَعرِض نفسها على يوسُف . إنَّها امرأةٌ سَيِّئة .

وسمِعَت امرأةُ العزيزِ بتَشْنيعِ النِّسوةَ ، لأنَّها أحبَّتْ فتاها ، فَغَضِبَت ، وأرادَتْ أنْ تُظْهِرَ لهنَّ عُذرَها ، فأرسَلَتْ إليهِنَّ فَجَمَعَتْهُنَّ فى منزِلِها ، وأحضَرَتْ لهنَّ تُفَّاحًا ، وآتَتْ كلَّ واحِدةٍ منهنَّ سكِّينا ، ثم ألبست يوسُف أحسَنَ الثياب ، وأمَرَتْهُ أن يخرج عليهِنَّ ، فخرَجَ يوسُفُ عليهن بجماله ، فلما رأينَه لم يُصَدِّقنَ عيونَهنَّ ، فما كان فى بنى آدم أحسَنَ منه ، وأخذنَ

ينظُرْنَ إليـه فى دهـش ، ونسـينَ أنْفسَـهُنَّ ، وجَعَلْـنَ يحزُزنَ فى أيديهِنَّ بالسَّكاكين بدلَ أن يقطِّعنَ التُّفاح ، ولا يَشْعُرْنَ بالجراح ، وقُلْنَ :

﴿ حـاشَ لله ، مـا هـذا بَشَـرا ، إنْ هـذا إلا مَلَـكٌ كريم ﴾ .

فقالت امرأة العزيز لهن :

ــ هـذا الـذى لُمْتُنَّنى فيـه ، وقـد طلَبْتُـه لنفسـى فامْتَنَع ، ولَئِن لم يفعَلْ ما آمُرُهُ به ليُسْجَنَنَّ .

فقالت له النسوة :

ــ لماذا لا تسمعُ لسيِّدتِك ؟

قال :

﴿ ربِّ السِّجْنُ أحبُّ إلىَّ مما يَدْعوننى إليه ﴾ .

وامتنع يوسُفُ عن أن يُطيع كلامَ سيدته ، لأنه كان يخاف الله .